

الفصل الثامن

الدونمة التركية أو اليهود المسلمون
الطائفة التي تسيطر على الحياة
السياسية والإقتصادية في تركيا

obeykandi.com

الفصل الثامن

الدونمة *Daunema* التركية أو اليهود المسلمون

الطائفة التي تسيطر على الحياة

السياسية والاقتصادية في تركيا

لأهمية هذه الطائفة وخطورة الدور الذي تلعبه في تركيا الإسلامية، قررت أفراد باب خاص عن هذه الطائفة، وساعدنى في ذلك معرفتى باللغة وإتصالاتى وسهولة تحصى على المراجع التى ساعدتنى فى كتابة هذا الفصل. ونبدأ هذا الفصل بالواقعة التالية:-

قام وزير الدفاع الإسرائيلى إسحاق موردهاى فى عهد حكومة ناتانياهو بزيارة تركيا على رأس وفد عسكري إسرائيلى وذلك فى مطلع عام ١٩٩٩، وتوجهوا إلى مقر هيئة الأركان التركية واجتمعوا مع كبار جنرالات الجيش التركى، وكان على رأس هيئة الأركان وقتها الجنرال إسماعيل حقى قرضاى، ودهش الكثيرون منا فى العالم العربى من حرارة الترحيب التى قوبل به أعضاء الوفد الإسرائيلى من هيئة الأركان التركية، مما دفع وزير الدفاع الإسرائيلى إلى القول بأنه يشعر ببهجة شديدة لأنه موجود بين أهله وإخوانه، ومنذ أيام قلائل (فى منتصف مايو سنة ٢٠٠١) قام وزير الخارجية الإسرائيلى شمعون بيريز بزيارة لتركيا مع وفد من العسكريين الإسرائيليين، وحضروا إحتفالا كبيرا فى وزارة الخارجية التركية رأسه إسماعيل جم وزير الخارجية التركية وكانت المناسبة تكريم مساعد وزير الخارجية التركية وعدد من رفاقه وذلك بسبب مجهوداتهم العظيمة التى لا تنسى وخدماتهم لإسرائيل، لمساعدتهم فى تهجير يهود رومانيا والمجر إلى إسرائيل بعد الحرب العالمية الثانية، وقلد شمعون بيريز هؤلاء المكرمين أرفع الأوسمة الإسرائيلية. وفى شهر يونيه سنة ٢٠٠١ قام الجيش الإسرائيلى بعمل مناورات جوية وبرية فى منطقة قونية فى الأناضول بالاشتراك مع الجيش التركى مما دفع أهالى هذه المنطقة من الأناضول بالاحتجاج والتذمر لأن هذه

المناورات أضرت بالمواشي والمحاصيل في منطقتهم، وفي يوم ٢٢ يونيه سنة ٢٠٠١ أصدرت المحكمة الدستورية العليا في تركيا حكما بإلغاء حزب الفضيلة التركية الذي يملك ١٢٢ نائبا في البرلمان التركي ومن أكبر الأحزاب التركية بحجة أن هذا الحزب له إتجاهات إسلامية تتنافى مع المبادئ العلمانية التي أرسى قواعدها كمال أتاتورك مؤسس تركيا الحديثة، وتم حل هذا الحزب رغم الأزمة المالية الخانقة التي تعاني منها البلاد الآن، وما يتوقع من تأثيرات ذلك الحل المدمرة على الإقتصاد التركي والحياة الاجتماعية في البلاد، ويلاحظ أن حل هذا الحزب جاء بأمر من هيئة الأركان العسكرية التي تحكم البلاد وتتحكم في شئونها رغم وجود ديموقراطية صورية وأحزاب سياسية لا حول لها ولا قوة .

ونرجع إلى بداية هذا الفصل ونسأله ما سر إبتهاج الوفد الإسرائيلي العسكري الذي زار هيئة الأركان التركية وتصريح موردهاى بأنه يوجد بين أهله وإخوانه؟ وما سر الترحيب الشديد بالإسرائيليين من قبل العسكريين الأتراك الذي يقابل به الإسرائيليون في كل زيارة لهم لتركيا، والنياشين الإسرائيلية التي تمطرهم بها إسرائيل بين حين وآخر؟ وللإجابة على ذلك نقول:-

يوجد في تركيا مجلسا يسمى مجلس الأمن التركي ويتكون هذا المجلس من رئيس الأركان العام وكبار جنرالات الجيش وقليل من السياسيين مثل رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، ويعتبر هذا المجلس هو الأمين العام المنوط بها مراقبة الإتجاهات السياسية الداخلية والخارجية حتى لا تخرج عن الخط العلماني الذي خطه للبلاد مصطفى كمال أتاتورك مؤسسة الجمهورية التركية منذ أكثر من ٧٥ سنة، وكان مصطفى كمال ينتمي لطائفة الدونمة التركية التي نحن بصدد الكتابة عنها، وكان مولده في مدينة سالونيك التي كانت مركزا لتجمع اليهود والدونمة في عهد الدولة العثمانية، وتم ضم سالونيك بعد ذلك إلى اليونان .

وأى حكومة أو أى حزب سياسى يحاول الخروج عن الخط العلماني يقابل بالردع الفوري من هيئة الأركان العامة بما يؤدي إلى إسقاط الحكومة أو حل الحزب المارق وتقديم زعمائه إلى المحكمة الدستورية العليا التي غالبا ما تحكم عليهم بأحكام غاية في القسوة مثل السجن مع الأشغال الشاقة المؤبدة مثل ما حدث مع الدكتور نجم الدين أريكان زعيم حزب السلامة

ومع باقى زعماء الحزب، وقد يصل الأمر إلى إعدام بعض الزعماء مثل ما حدث من إعدام رئيس الحكومة الأسبق عدنان مندريس الذى يطلق عليه الأتراك الآن الشهيد مندريس لأنه يعتبر أول من رفع صوته ضد تحكّم العسكر، المهم ألا تتجاوز مبادئ أى حزب سياسى المبادئ التى وضع إطارها كمال أتاتورك والتى يجب أن تدور فى فلكها جميع نظم الحكم التركية والتى تهدف فى النهاية إلى قطع أى علاقة بين ماضى تركيا وتاريخها الإسلامى مع ربطها دائما بالغرب وعزلها عن العالمين العربى والإسلامى، ومحو الأصول التراثية والثقافية للشعب التركى ومحاربة جميع المظاهر الإسلامية داخل المجتمع التركى بكل حزم حتى ولو كانت بسيطة، ومنذ عدة أشهر حكمت المحكمة العليا بعزل نائبة البرلمان مروى قاقوجى لأنها تجرأت وارتدت حجاب الرأس داخل البرلمان التركى، ثم أمرت المحكمة بتجريدتها من الجنسية التركية فى أقصى حكم شهدته تركيا من هذا النوع، وأيضا حكمت نفس المحكمة بفصل ٣٥٠ مدرسة تركية من عملهن لأنهن أصررن على لبس حجاب الرأس أثناء العمل. وفى حادثة أخرى أصدرت إدارة الجامعات التركية قرارا بفصل الطالبات الاثني يدخلن كليات الجامعة مرتدين لحجاب الرأس، وكان عدد هؤلاء كبيرا جدا، وقاموا بمظاهرة حاشدة أمام جامعة اسطنبول وهم يمسون بالمصاحف فى أيديهن، وقامت الشرطة بضربهن بقسوة شديدة والقبض على الكثيرات منهن، وفى حادث آخر أصدر بولنت أجاويد رئيس الحكومة التركية قرارا بفصل ٢٠ ألف موظف تركى من وظائفهم لأنهم يقومون بالصلاة فى أثناء العمل ويصومون رمضان ولهم إتجاهات دينية، ولكن رئيس الجمهورية أحمد نجات رفض إمضاء هذا القرار والتصديق عليه مما أثار أزمة شديدة بينهما إنتهت بانتصار رئيس الجمهورية.

وحتى وقت قريب كان تعلم اللغة العربية أو النطق بها أو الكتابة بالخط العربى جريمة بشعة يعاقب عليها القانون، ومن مظاهر تطبيق القوانين الكمالية السماح للمرأة التركية المسلمة بالتزوج بزواج غير مسلم وتشجيع النساء على ذلك، مع أن عدد المسلمين فى تركيا يصل إلى ١٠٠٪ وهى أكبر نسبة من المسلمين فى أى قطر إسلامى، وفى شهر مايو سنة ٢٠٠١، أعلنت فتاة تركية مسلمة تعيش فى ألمانيا هى وأسرتها أنها سوف تتزوج ابن هلمت كول الرئيس الألمانى السابق وأنها سوف تسافر إلى اسطنبول مع خطيبها ليعقدوا القران هناك

على يد مآذون على الطريقة الإسلامية وبعد ذلك يعودون إلى ألمانيا ليعقدوا القرآن ثانيا على يد قس في أحد الكنائس الألمانية، ورحبت الصحف التركية بهذه الفكرة وامتدحتها ولكن الأوساط الشعبية كانت في إستياء بالغ من ذلك.

ومن المعروف أن الجيش التركي قد قام بأربعة إنقلابات ضد الحكومات التي إنحرفت ولو قليلا عن الخط العلماني الكمالي في أثناء الخمسين سنة الماضية وتولت حكومات عسكرية حكم البلاد حكما مطلقا لفترات طويلة.

وبالبحث والتحليل لهذه الظاهرة، تبين للدارسين أن هيئة الأركان التركية وكبار الجنرالات الجيش لا يتم إختيارهم إلا من بين أبناء طائفة الدونمة التركية منذ عهد كمال أتاتورك حتى يومنا هذا، وهذه الطائفة هي التي تحكم سيطرتها على الجيش وتضع السياسة العامة له وللدولة التركية وتمنع أي تسلل من قبل ضباط القاعدة إلى طبقة الجنرالات العظام، كذلك لا بد أن يكون المدعى العام التركي وقضاة المحكمة الدستورية العليا من المنتمين لهذه الطائفة وإذا نظرنا إلى المجتمع التركي ككل، لوجدنا أن طائفة الدونمة تسيطر سيطرة تامة على جميع وسائل الإعلام التركية من صحف ومجلات ومحطات تلفزيونية، ويمتلك أفراد من هذه الطائفة جميع هذه الوسائل الإعلامية.

ويسيطر أفراد الطائفة على المصارف ودور المال والمؤسسات الاقتصادية الأخرى وكذلك المؤسسات الصناعية والشركات.

وبعد أن إستطردنا في الكتابة عن هذه الطائفة، لعل القارئ يسأل من ماهية هذه الطائفة والأهمية الكبيرة التي اكتسبها؟ وللإجابة على ذلك لا بد لنا من الرجوع إلى عمق التاريخ.

ولعلنا نعرف أن اليهود لم يعترفوا أبدا بعيسى المسيح عليه السلام، وظلوا حتى اليوم ينتظرون قدوم المسيح اليهودي الذي يعيد إليهم مجدهم ودولتهم ويفرض سيطرتهم على العالم أجمع، وكلمة مسيح باللغة العبرية تعنى النبي المخلص الذي يرسله «يهوه» أى الله لإنقاذ بنى إسرائيل، وقد تسبب هذا الإعتقاد في ظهور كثيرين إدعى كل منهم بأنه هو

المسيح المنتظر، منهم تيوداس الروماني عام ٤٤ ميلادية، وموسى التكريتي وأبو عيسى الأصفهاني ثم ساباتاي الأزميري نسبة إلى مدينة أزمير التركية.

وظهر ساباتاي في عهد الدولة العثمانية وفي سنة ١٦٤٨ ميلادية، وكانت آنذاك تعاني من اضطرابات شديدة، فقد ثار الجند على السلطان إبراهيم وقتلوه ثم عاثوا في الأرض فسادا، وانهزت دولة البندقية هذه الفرصة وأرسلت أساطيلها تهدد الشواطئ العثمانية.

وفي نفس الوقت عجز الجيش العثماني للمرة الثانية عن فتح قلعة فينا عاصمة النمسا، أما أوروبا فكانت تعيش عصر محاكم التفتيش وكبت الحريات واضطهاد المسلمين واليهود خاصة في أسبانيا، ولم يجد الكثيرون من اليهود حاميا لهم إلا الدولة العثمانية ومملكة المغرب لما عرف عنهما من تسامح ديني فرضه الإسلام على مجتمعاته، لذلك إتجه اليهود المضطهدين إلى تركيا والمغرب، ليعيشوا في ظل السماحة والأمان.

وفي هذا الوقت ولد في أزمير يهودي يدعى ساباتاي في سنة ١٦٢٦ م لأب يدعى موردخاي زفي، كان يعمل تاجرا، وهو من أصل أسباني، وفي تلك الأثناء ادعى بعض اليهود أيضا أن حساب الجمل لبعض الكلمات الواردة في التوراة تقول بأن المسيح سوف يظهر في عام ١٩٤٨ م. لكي يقود اليهود، وأنه سوف يظهر في صورة نبي مخلص يحكم العالم من فلسطين ويجعل من القدس مركزا وعاصمة للدولة اليهودية.

وكان ساباتاي في هذه الأثناء قد بلغ الثانية والعشرين من عمره، فأخذ يعد نفسه ليصبح هو ذلك المسيح المنتظر، وكان هذا الشاب مصابا بحالة صرع ومعتل الصحة والمزاج ينفر منه حاخامات أزمير، وفي العام المحدد (١٦٤٨م) أعلن ساباتاي أنه هو المسيح المنتظر، وفي سنة ١٦٦٣م. سافر ساباتاي إلى مصر، وإستضافه فيها يهودي يدعى رافاييل جوزيف، ويطلق عليه المصريون يوسف جلبى وكان رئيس الصيارفة بالقاهرة، وآمن رافاييل بساباتاي وقدم دعما ماليا كبيرا لحركته، ثم سافر ساباتاي الى فلسطين وتعرف على يهود القدس، ثم عاد إلى أزمير سنة ١٦٦٦ حيث كانت شهرته قد طبقت الآفاق.

وفى أزمير إنهالت عليه وفود اليهود من رودس وأدرنة وصوفيا واليونان وألمانيا، وقلدته الوفود تاج ملك الملوك، وتصور أنه سوف يحكم العالم من فلسطين، وكان يوقع على خطاباته بلقب «الابن الوحيد الأول ليهوة» .

وبعد قليل إدعى يهودى آخر يسمى كوهين أنه هو المسيح المنتظر، وقدم كوهين هذا إلى القصر السلطاني شكوى ذكر فيها أن ساباتاي يعد العدة للقيام بتمرد يهدف إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين، فأصدر القصر السلطاني أمرا بالقبض على ساباتاي، وأحضر إلى القصر حيث واجه هناك هيئة من العلماء برئاسة نائب الصدر الأعظم وعضوية شيخ الإسلام، وبعد مناقشات اللجنة له أعلن ساباتاي إسلامه والعدول عن إدعاءاته وسمى نفسه محمدا، وخصص له السلطان ربع راتب رئيس البوابين في القصر، وأصبح يدعى محمد البواب، وبعد هذا ارسل ساباتاي رسالة إلى أتباعه ذكر لهم فيها أن «يهوة جعلنى مسلما، أنا أخوكم محمد البواب، هكذا أمرنى يهوة فأطعت». ثم قدم أخوه للاتباع التوضيح التالي:-

«كيان ساباتاي القديم صعد إلى السماء، وبأمر من يهوة فإنه يستمر ملكا ومسبحا لليهود ولكن تحت جبة وعمامة»

وعلى هذا أطلق الأتراك لفظ «دونمة» على أتباع ساباتاي، والدونمة كلمة تركية تعنى العائد أى الذى إرتد إلى اليهودية بعد أن كان مسلما، ثم أصبحت هذه الكلمة فيما بعد تعنى المسلم ظاهرا واليهودى باطنا.

بعد ذلك طلب ساباتاي من السلطات التركية السماح له بالتجول في البلاد العثمانية لدعوة اليهود إلى الإسلام، فسمحت له الدولة بذلك، ولكنه بدلا من ذلك إنطلق إلى اليهود يدعوهم إلى الإيمان به ويحثهم على ضرورة تجمعهم معلنين الإسلام في الظاهر مبطين الساباتية.

ثم أصدر وثيقة تضمنت أسس دعوته وجهها إلى كل المؤمنين به، وتصدرت الوثيقة هذه الجملة «هذه هي الأوامر الثمانية عشر التى أمر بها سيدنا وملكننا ساباتاي زفى فليزدد شرفه»، وتضم هذه الوثيقة أمرا بالإيمان بأن مسيح يهوة هو المخلص الحق ولا مخلص غيره وهو سيدنا وملكننا ساباتاي زفى، وأنه من نسل داوود عليه السلام ويجب على الأتباع قراءة



شكل ٥:
صورة لساباتاي زفي
بعد أن لبس الجبة
والعمامة رسمها له أحد
أتباعه عام ١٦٦٢م



شكل ٦:
صورة لساباتاي زفي
جالسا على العرش وهو
ينوح من قبل الملائكة
والصورة السفلية لقبائل
اسرائيل الاثنى عشر
تدرس التوراه مع
سبتاي.
(الصورة عام ١٦٦١م)

مزامير داوود كل يوم سرا، ويجب مراعاة الأتراك المسلمين ذرا للرماد في أعينهم، ويجب عدم الضيق بصوم رمضان أو عند تقديم أضحية العيد، بل يجب المحافظة على جميع المظاهر الدينية الإسلامية، وممنوع الزواج من المسلمين، كذلك نصت الوثيقة على أن اليوم الذي أسلم فيه ساباتاي هو يوم عيد يحتفل به إحتفالا كبيرا.

وبعد تأكد السلطات التركية من زيف إسلام ساباتاي، نفتته إلى ألبانيا حيث مات ودفن هناك في ١٦٧٥/٩/٣٠ م.

وبعد تكون طائفة الدونمة، عاش أفراد هذه الطائفة بين المسلمين، ولكنهم يختلفون عنهم، فهم يتسمون بالاسماء الإسلامية، ثم يضيفون إلى هذه الأسماء لقباً يهودياً، مثل «محمد جاهد يلتشين» نقيب الصحفيين الأتراك الأسبق، ويؤدى أفراد هذه الطائفة الشعائر الإسلامية ظاهرياً مثل الصلاة في المساجد أو صوم رمضان وأحياناً الحج، وكان لهم عادات خاصة مثل لبس الأحذية بدون كعوب، وحلق شعورهم بالموس، وتتكون طائفة الدونمة من ثلاث فرق هي:-

اليعاقة والقرقاشية والقابانجية، ولهم مدارسهم ومدافعهم الخاصة. وتركزت جهود الدونمة منذ الحرب العالمية الأولى الى دفع عجلة التغريب في المجتمع التركي وقطع كل صلة للأتراك بماضيهم ودينهم وتراثهم الفكري وكتابة اللغة التركية بالأحرف اللاتينية بدلا من الأحرف العربية حتى تضمن إستمرار قطع صلة الأجيال التركية بماضيهم وتاريخهم الإسلامى المشرف المدون بالأحرف العربية. واستغلوا السلطة المطلقة التي تمتع بها كمال أتاتورك وهو كما سبق أن ذكرنا من الدونمة- في فرض المظهر الأوروبى في الملابس والهيئة على الشعب وتشجيع الإختلاط بين الرجال والنساء والغاء قوانين الأحوال الشخصية المستمدة من الشريعة الإسلامية وتشجيع الفتيات المسلمات على التزوج بغير المسلمين، وإقامة مسابقات الجمال بين النساء والتي تتبناها الدونمة حتى الآن، وفتح دور الدعارة المرخص بها من الدولة في كل المدن والتجمعات التركية، وتشجيع أهالى الريف وأهالى المدن على شرب الخمر وصناعتها، حتى أصبحت تركيا الآن من أكبر الدول المنتجة للنبذ في شرق أوروبا، ولا يفوتنى أن أذكر هنا أن صحيفتى ميلبيت وكون إيدن المملوكتين للدونمة هما الصحيفتان اللتان تتوليان تنظيم مسابقات الجمال بين الفتيات حتى الآن.

ولعل سائل يتساءل: ما هو الدور الذي يلعبه يهود الدونمة في الحياة السياسية التركية؟

وللإجابة على ذلك نجد أنه منذ إعلان ساباتاي الإسلام ويهود الدونمة يحتلون مراكز هامة في الدولة، مثل أمين الترسانة البحرية وأمين الصرة وكتخدا القصر وكتخدا المدينة وذلك في العهد العثماني، وعند ظهور حزب الاتحاد والترقي في أواخر أيام الدولة العثمانية، إندس فرع القابانجية من الدونمة في خلايا الحزب وأداروا الجزء الأكبر من الانقلاب الذي قام به حزب تركيا الفتاة ضد السلطان عبدالحميد الثاني وخلعه، وبذلك أفسح المجال لقيام الحكم العلماني، وفي بداية القرن العشرين ظهر أبرز ساسة الدونمة وهو قراصو عضو اللجنة التي قابلت السلطان عبدالحميد لخلعه، وكان هو مسئول جمعية الإتحاد والترقي عند إثارة الشغب ضد عبدالحميد لتهيئة الفرصة لحل جمعية الشورى، وقداصو هذا هو الذي باع ليبيا إلى إيطاليا وخان الدول العثمانية في نظير رشوة من الإيطاليين.

وتوجد أسماء أخرى كثيرة من يهود الدونمة برزت في شتى فروع الحياة التركية، منها محمد جاويد وزير المالية في عهد الإتحاد والترقي ونزهت فائق وهو أحد وزراء مالية العهد ذاته ومصطفى عارف أحد وزراء داخلية الإتحاد والترقي ومصالح الدين عادل وكان مستشارا لوزارة التعليم التركية وأستاذ في كلية الحقوق.

وأما في مجال الإعلام فيمسك الدونمة بجميع فروع الإعلام رغم قلة عددهم كطائفة (عددهم الآن في تركيا ٣٠٠٠٠ نسمة)، وأبرز عائلات الدونمة من العاملين في الإعلام الآن في تركيا هم من عائلات قابانجي وكبار وإيبكجي، والأخيرة لها مكانتها الضخمة في الحياة الإعلامية في تركيا، وتأثير الدونمة على هيئات الإذاعة والتلفزيون التركية ضخم للغاية، وكذلك فإن أكبر دور النشر وأعظم الصحف التركية يمتلكها ويديرها الدونمة، وكان أول صحفي من يهود الدونمة يخرج من المحلية إلى العالمية هو أحمد أمين بالمان (سلونيك ١٨٨٨- إستانبول ١٩٧٣) الذي أسس عدة صحف ومجلات هامة، وإشترك في بعض المؤتمرات الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية، وتبنى أثناء الحرب العالمية الأولى قيام دولة أرمنية ودولة كردية يقتطعان من الأراضى التركية، كما نادى بعد الحرب العالمية الأولى بضرورة قبول تركيا للحماية الأمريكية، وناصر أيضا قضايا الماسون الأتراك ودافع

عن قضايا الشيوعيين الأتراك وعن أمن إسرائيل، ونشط في الدعاية للصهيونية، وكان معاديا بشدة للإسلام والمسلمين حتى أن الشاعر التركي يزن توفيق هجاة بقصيدة مطلعها «أحمد أمين دونمه خبيث: يقذف بالطين أهل الشرف». وكان آخر اسم كبير في الصحافة التركية هو عبدى إيبكى أشهر صحفى تركيا وهو من عائلة إيبكى الكبيرة، وتولى عبدى إدارة صحيفة ملييت الصباحية اليومية منذ عام ١٩٦٤، كما ترأس نقابة الصحفيين الأتراك، وكان عضواً في اللجنة التحضيرية لقانون أخلاق الصحافة ثم الأمين العام لديوان الشرف الصحفى، ولعبدى إيبكى شهرة عالمية، إذ أنه كان عضواً بمجلس إدارة الصحافة بزيورخ (I. B. I) المعروف بسيطرة اليهود عليه، وفى سنة ١٩٦٨ عين عبدى عضواً فى هيئة التدريس بمعهد الصحافة بجامعة إستانبول، وإغتيل عبدى يوم ٢/٢ / ١٩٧٩ واهتزت تركيا لمقتله، وقبض على القائل بعد ٥ أشهر من عملية الإغتيال، ويمتلك يهود الدونمة مؤسسة جريدة «حرية»، ويوزع منها يوميا ما بين ٨٠٠٠٠٠ الى مليون نسخة، ولها مكانتها بين أكثر من ٢٠ صحيفة فى العالم من ناحية التوزيع، وقد صدر العدد الأول منها فى مايو سنة ١٩٤٨ وشعارها تركيا للأتراك، وهذه المؤسسة لها دار نشر معروفة وعدة مجلات أخرى دورية أسبوعية وشهرية وسنوية، مثل:- هفتة صوفو، وبيللربوبو (مجلة التاريخ) وهى شهرية، ومؤسس دار حرية للصحافة والنشر هو سداد سيموى من يهود الدونمة، ولما مات أخذت أسرته تدير المؤسسة، وجريدة كون إيدن، وترجمتها صباح الخير، وهى صباحية تطبع ٥٧٠ ألف نسخة يوميا، وهى ثانى صحف تركيا بعد حرية توزيعا ويملكها الدونمة، وتتبعها مجلة «صنعت» أى الفن الأسبوعية، ودار نشر ملييت بسلاسلها المشهورة، وجريدة جمهوريت الصباحية يمتلكها الدونمة ولها صبغة يسارية، ويديرها الدونمى فوزى تون، ويصدرها الآن رشاد أتابك من يهود الدونمة، وجريدة ترجمان ثالث الصحف التركية الصباحية إنتشارا، ويمتلکها عثمان كبار وهو من عائلة كبار الدونمية، وكان هذا الكاتب والصحفى البارز رئيسا لبلدية إزمير قبل إمتهانه الصحافة، ويوجد أيضا من يهود الدونمة أسماء لامعة تلعب فى جميع المجالات، ومنهم إسماعيل جم، وزير الخارجية حاليا وفى الوزارة السابقة أيضا، وهذا الرجل هو مؤسس جريدة بولتكا اليومية الصباحية، وكان من أبرز الكتاب الماركسيين، وكان يعمل من قبل فى جريدة ملييت ثم مديرا لهيئة الإذاعة والتلفزيون التركية حتى سنة ١٩٧٥ حين طردته وزارة الإئتلاف الوطنى من منصبه، ثم أخذ يكتب المقالات المؤيدة لإسرائيل

والمعادية للعرب فى جميع الصحف حتى عين وزيراً للخارجية فى حكومة يلماظ ثم فى حكومة أجاويد الحالية، وهو من أعضاء حزب الشعب الجمهورى البارزين، وفى النهاية يتبين أن الإعلام التركى فى غالبته واقع فى يد الدونمة سواء أكان صحفاً أو مجلات أم إذاعة أو تلفزيون، وكان لهذا أثره فى الدعاية لإسرائيل وتبنى وجهات نظرها فى إيجاد رأى عام تركى مؤيد لها وإبعاد الأتراك من الإسلام والعرب، كذلك تقوم أجهزة الإعلام التركية بخدمة اليهودية العالمية، فمن مقالات سامى كوهين (مدير الشؤون الخارجية فى جريدة ملييت) إلى عرض الأفلام المؤيدة لإسرائيل فى التلفزيون التركى خاصة فى عهد إدارة إسماعيل جم، وتبنى المحطات التلفزيونية التركية بث الأفلام الإباحية لإفساد الشببية التركية ويعمل يهود الدونمة ضد تركيا والعرب من داخل منظمات عديدة منها جمعية الإتحاد اليهودى العالمى والمنظمة الصهيونية العالمية ومنظمة رأس المال العالمى.

وفى النهاية يمكن للقارىء أن يتبين السبب فى تباعد تركيا عن العرب والمسلمين، وميل الطبقة العسكرية بها إلى تأسيس الأحلاف العسكرية والتعاون العسكرى مع إسرائيل، وإعتماد تركيا على اللوى اليهودى الأمريكى واللوى اليهودى الأوروبى من إدخال تركيا إلى منظمة دول التعاون الأوروبى بالرغم أنها لم تقبل حتى الآن فى هذه المنظمة، ويبدو أن اليهود يلعبون مع تركيا لعبة خبيثة كعادتهم، فهم يقنعونهم بأنهم سيكونون وراءهم فى الضغط على الأوروبيين من أجل إدخالهم دول الإتحاد الأوروبى، ويقومون ببعض التحركات والنشاط الظاهرى فى هذا المضمار، ولكنهم فى نفس الوقت يعرفون وصول تركيا إلى الإتحاد بطرق خفية حتى تظل هذه دائماً فى حاجة إليهم، ومما يؤيد هذا الرأى أن البرلمان الفرنسى أصدر قراراً يحمل فيه الأتراك مذابح الأرمن فى نهاية العهد العثمانى، ولم يتحرك اللوى اليهودى الفرنسى القوى لمنع صدور هذا القرار وقد كان يستطيع ذلك.

بعض المعلومات الطريفة عن فرق الدونمة

جاء فى بعض المراجع التركية التى وقعت تحت يدي بعض المعلومات الطريفة عن فرق الدونمة التركية والأيدلوجية التى تسير عليها كل فرقة منها، وكما سبق أن ذكرنا فإن الدونمة تنقسم إلى ثلاث فرق هى:-

١ - اليعاقية: - وهذه الفرقة هي أقدم الفرق التركية، وقد سميت بهذا الإسم نظرا لأنهم يتبعون يعقوب فوريدو صهر ساباتاي وأخ زوجته الثانية، وقد إدعى فوريدو بعد موت ساباتاي أن روح ساباتاي قد حلت فيه، وأنها مستمرة من أجل خلاص العالم، وأتباع هذه الفرقة يحلقون شعر رءوسهم بالموس ولكنهم يرسلون لحاهم، واليعاقبة هم الفرقة الأكثر عددا، وقد انفصل عن فوريدو هذا أحد أتباعه واسمه بروخيا (عثمان بابا) وكون فرقة أخرى منفصلة هي القراقاشية.

٢ - القراقاشية: - يعتقد أفراد فرقة القراقاشية أن بروخيا يمثل العقيدة الساباتية الحقيقية، ويضفي عليه أتباعه نوعا من التآليه، ولذلك فهم يتوجهون في صلاتهم إليه وإلى ساباتاي، ويرسلون لحاهم ولا يحلقون رءوسهم، وبعد وفاة بروخيا جاء أحفاده وترأسوا الطائفة، ومنهم درويش أفندي الذي أدخل الإباحية الجنسية في طقوس الطائفة مستندا في ذلك إلى تأويلات لبعض نصوص كتب اليهود الدينية.

٣ - القابانجية: - وهي كلمة تركية معناها القدماء، ويسمون أيضا الببولار أي الأنصار الحقيقيين والفرسان، وقد انفصل هؤلاء عن جماعة بروخيا في العشرينيات من القرن الثامن عشر أي بعد وفاته مباشرة، وهم لا يعترفون بفوريدو ولا ببروخيا، ويتميزون بأنهم يحلقون لحاهم ويرسلون شعر رءوسهم، ونساءؤهم يصفرون شعر رءوسهن صفائر رفيعة جدا، وأعضاء هذه الفرقة هم المثقفون من الدونمة ولهم معابدهم الخاصة بهم، ويقع المعبد عادة وسط الحى ويطلق عليه (قهل) وهي كلمة عبرية معناها جماعة المصلين.

هذا وبالرغم من أن الدونمة يذهبون إلى المساجد ويؤدون الصلاة وبعض الشعائر الإسلامية الأخرى، إلا أن العبادة الحقيقية تكون في معابدهم، ويطلقون على الشخص الذى يقودهم فى صلاتهم الخوجة أو الحاخام وذلك جريا على عاداتهم فى الإزدواجية، وبالرغم من إختلاف فرق الدونمة الثلاث فيما بينهم إلا أنهم يدفنون موتاهم فى مقابر واحدة، ولهم مجلس أعلى يضم رؤساءهم ويحافظ على مصالحهم.

إزدواجية اللغة

كان الدونمة يستعملون لغة عبرية محرفة في الحديث فيما بينهم، إلا أنهم في بداية القرن العشرين بدأوا يستعملون اللغة التركية في أحاديثهم والعبرية في صلاتهم وهم يكتبونها بحروف لاتينية. وكتب الصلوات عبارة عن كتيبات صغيرة ليسهل إخفائها عن غيرهم، وفي سنة ١٩٣٥ حصل بعض الأتراك المهتمين بدراسة موضوع الدونمة على كتيب من كتيبات صلاتهم، وإتضح من دراستها أن أغلب صلواتهم مأخوذة من الكتب الدينية اليهودية كالدور والمحزور مع بعض التغييرات كوضع إسم ساباتاي زفي في كل مناسبة ممكنة ومن صلواتهم التي يرددونها ما يلي:-

أؤمن إيماناً حقاً بإله الحق رب إسرائيل

وأؤمن إيماناً حقاً بأن ساباتاي زفي هو الملك والمخلص الحق وأؤمن إيماناً حقاً بأن ساباتاي زفي جل جلاله هو المخلص الذي سيجمع إسرائيل المتفرقين في أركان الأرض الأربعة.

ومن المزمور الثاني يقرأون:- لقد غاب عنى أقرب الناس إلى، ساباتاي زفي الذي إختاره الإله، سأبقى عبده المخلص وسأبقى أطلبه وأمجده إلى الساعة الأخيرة من حياتي، فاعله يغفر ذنوبي.

إليه أرفع عيني بالدعاء والأمل
إمدحوه بأصوات عالية من أجل خلاصكم.

تبادل الزوجات:-

ذكر عن الدونمة أنهم يتخذون تبادل الزوجات والإباحية الجنسية طقساً من طقوسهم، ومن الإنصاف أن يقال إن هذا الطقس لا يطبقه كل أتباع الدونمة كما هو شائع، وإنما يطبقه بعض فروعهم، وهذا الكلام ليس تهمة ألصقت بهم، وإنما هي حقيقة قامت عليها أدلة، فقد ذكر أحد الباحثين واسمه إبراهيم جلنت كان قد إطلع على بعض طقوس الدونمة بأن هذا الطقس يطبق كالتالي:-

فى ليلة الثانى والعشرين من مارس الذى يعتبر يوم عيد الحمل، تلبس الزوجات أحسن ملابسهن وأجمل حليهن، ويبدأون بطعام العشاء، وبعد العشاء تطفأ الأنوار، وتبدأ عملية تبادل الزوجات ويعتبر الأولاد الذين يولدون نتيجة لذلك أولادا مميزين ومباركين.

الدونمة بين اليهودية والإسلام:-

ظهر فى ثلاثينيات القرن الماضى كتاب عن ساباتاي زفى والدونمة عن الكاتب التركى المعروف إبراهيم قوقزا، يقول فى هذا الكتاب أن من يدرس حياه الدونمة من خلال عقيدتهم وصلواتهم وإمتناعهم من الزواج من غيرهم، يرى أنهم فرقة خاصة ليست من الإسلام فى شىء، يضاف إلى ذلك أن الدونمة لم يذكروا أبدا أى شىء عن الإسلام فى أدبياتهم، وكذلك لم يلجأوا فى أى وقت من الأوقات إلى المحاكم الإسلامية أو إلى علماء المسلمين فى حل خلافاتهم. أما بالنسبة لعلاقتهم باليهودية، فإن مؤرخى حياة مؤسس فرقتهم يذكرون أنهم لم يتخل عن علاقته باليهود واليهودية، كذلك لم يتخل الدونمة عن اللغة العبرية، وكان أءمتهم حتى عهد قريب يدرسون التلمود، وقد عثر على وثائق مؤرخة سنة ١٩١٠ تتضمن أجوبة كان قد أجاب عليها حاخامات اليهود عن أسئلة دينية وجهها إليهم الدونمة.

يضاف إلى ذلك أن مجموعة كبيرة من الدونمة قدموا طلبا إلى رجال الدين اليهود فى سالونيك طالبين قبولهم فى الرجوع الى اليهودية، ولكن هؤلاء رفضوا طلبهم لأنهم إعتبروهم أبناء غير شرعيين بسبب ما هو معروف عن موضوع تبادل الزوجات، لذلك يمكننا أن نقرر أن الدونمة طائفة خاصة لها عاداتها وتقاليدها وأماكن عبادتها الخاص.